وفي تلك اللحظة أيضا ، كانت تصل اليهم هدية مفاجئة أو بطاقة معايدة : كان دم عربي غزير يسيل في شوارع بيروت ، وكان يتحول الى زيت ينعش الارز القديم الذي أهدي الى الملك سليمان لبناء الهيكل !

[٣]

من يوقف التشريد ؟

كنا نتساءل قبل أيام : من يوقف الهزيمة ؟ والان نصرخ : من يوقف التشريد .. تشريد هذه المرأة ؟

الصورة ذاتها تواجهنا دائما في الصحيفة ، وفي ضواحي المدينة ، وعلى كل أرض عربية ، ونادرا ما تواجهنا في الضمير .

الصورة ذاتها . تأتي بعد الرصاص دائما : أم فلسطينية تجر أطفالا ، وتحمل فراشا ، وتمشي في الريح والمجهول . تلجأ من ملجأ الى ملجأ . فمتى تستقر في ملجأ أخير غير القبر ؟ كأن الدعوة الى العودة أرجئت . من ربع قرن ونحن نراها تخطو في العظم (من نحن لنتكلم بهذه الصيغة ؟ — مراقبون) تخرج من مخيم في اتجاه خيمة أخرى أو صخرة منحنية . تلاحقها اللعنة والقذيفة والاقدار المكتوبة . سموها ما شئتم ، فهي أمي .

— اقيموا لها خيمة من اسمنت ، لكي تكف عن التشرد . دعوها تستقر في لجوء واحد .
— الفراش المحمول على الرأس .. والوطن المحمول في القلب مربوطان بخيط واحد . اذا استراح الفراش ضاع الوطن .
— وهل أصبح اللجوء اعلانا وزينة ؟
— بل هو نداء يتجسد في غضب يعلن في ثورة .

لا ينتهي الحوار الا بتدخل غارة ، مرة من الاعداء ، ومرة من الاشقاء ، فلا يبقى في الوطن العربي (أو العالم العربي) مكان لا تصل اليه القذائف بحثا عن ظل هذه المرأة التي لا أعرف اسمها ولكنني أعرف أنها أمي ..

— لماذا تضربها الطائرات ؟
— لكي تخفي ظلها عن الارض .
— ولماذا يؤذيكم ظلها ؟
— لانه ثقيل .. ثقيل تنوء به أكتاف هذه اليابسة الممتدة من المحيط الى الخليج .
— انها لا تطلب شيئا الا الوجود .
— العدو لا يرضى بهذا .
— وأنتم .. هل يعنيكم رضا العدو .. أم حياة هذه المرأة التي هي دمكم ؟
— لا حيلة لنا بمصارعة العدو .
— لا تصارعوه .. دعوها تصارعه وحدها .
— ليس على أرضنا . لان العدو لا يرضى بهذا .

صار بوسع العدو أن يمشي أو يتنزه في الشوارع العربية التي لم يعلن عن احتلالها بعد . يشرب القهوة في المطارات او المقاهي ، يسهر في البارات ، ويعود بسيارة خاصة أو بسيارة اجرة في آخر الليل الى حدود فلسطين . واذا تعب من السهر نام في فراشنا . ألم يطرد كمال ناصر وكمال عدوان ومحمد يوسف النجار من فراشهم !.